فجوة

قصة قصيرة

كتابة: سحى ناظم

الإهداء

إلى كل أطفال الحروب

سجى ناظم احمد

هل لكَ أنْ تُجرب العيش في خيمة بعيداً عن بيتك الدافئ المليء ببخار الاحلام؟

-أنا لم أجرب؛
هم من جربوا...

في أحدى الليالي الباردة كنت خارجاً من خيمتي ابحث عن شيء استخدمه كموقد لأن البرد توشح جسدي رأيتُ رجلاً يبدو أن عمره لا يتجاوز الثلاثين كان اسمه علي تكلمنا ودارتْ بيني وبينهُ بعضُ الأحاديث

قال:
لم أجرب يوما العيش داخل خيمة كما أظُن أنت أيضا أليس كذلك؟
نعم هذه المرة الأولى لي...

-الأولى! وكيف قلتَ سابقاً أنك تعرف كل أسماء المخيمات الموجودة في البلدة !

علي:هه أقصدُ الأولى بعد المئة نحن هنا عندما نصل إلى عدد معين نتوقف عن العد ونبدأ من جديد مثلا سألتني مرة أحدى الصحفيات كم مرة نمت في البرد؟
فأجبتها ثلاثَ مرات فقط أقصد بعد المئات فأنا لم أنم في البرد فقط داخل الخيمة!
أحيانا في الشارع وأحيانا أخرى على الرصيف أو في سيارة نسى صاحبها أن يغلقها جيدا.

-ضحكت متعجباً وقتها لا أخفي استغرابي مما عاشهُ هذا الرجل.

فسألته دون تفكيرٍ طويل هل عاش وطنكُم الذي تعيشون كل هذا بسببهِ؟

قال: أجل عاش

عاش هذا الوطن في أنفسنا منذ مئات الأعوام...عاش عندما مات السفلة والسارقين عاش مع دماء الشهداء ودموع أمهاتهم عاش مع تراب القبور عاش في أرواح الشهداء أحيانا في المدن المحتلة ونادراً معنا...عاش في داخل المخيمات والبرد مع النازحين عاش دائماً أبياً وعشنا نحنُ منكسرينَ واقفينَ على حافة السفينة يأمرنا القراصنة بالقفز منها إلى قاع البحر ونحن نرفض متمسكين بالسفينة مُصرينَ أنها لنا ولن نتركها ليسرقها أيُّ أحد!

***

اليوم أول يوم لي هنا
بدأت الابتسامة تغادرني وبدأت بعقد حواجبي , بدأت أشعر بالسوء لكُل تلك السنين وأنا أعيشُ بتلك الرفاهية بعيداً عن العالم
كيف لي أن أعيش وهم يموتون هكذا بلا سبب ذو قيمة!؟

أمضيت سنين طويلةً من عمري ولم يسبق لي أن فكرت بتقديم المساعدة لأحد
إلا بعد موت زوجتي...ومعرفتي المتأخرة بالورم الذي يحيا داخل رئتي لنقل إني فقدت كل شيء تقريباً ولم يبقى لي في هذه الحياة سوى بعض من الأيام القليلة كما قربها لي الطبيب "تسعون يوماً" أي ثلاثة أشهر فقط لا غير...

رأيتُ طفلةً صغيرة كانت سمراء تمتلك عيوناً عسلية نادتني بـ "عمو" كم فرحت بمجرد النظر إليها قد لا يبلغ عمرها الست سنوات واستطاعت إسعاد رجل عجوز!

كان يوماً مُهلكا وممتعاً في نفس الوقت أمضيتهُ بمساعدة الجميع
شعور ان هناك من يحتاجني شعورٌ محيّر هل هم محتاجون لي لأني أساعدهم أم هم محتاجون لي لأني خيارهم الوحيد؟
لا أحد يعلم...

عاد الرجل الذي تحدثَ أليّ في ذلك اليوم...
أحضر ابنه حديث الولادة ليتأكد من صحتهِ فأخبرتهُ بأن ولده كامل الصحة، فرح كثيراً حتى أنه قفز من الفرحة على ما أظن أن الأم ماتت أثناء الولادة

كانت ولادتها قاسية جداً حيث أنه ولدَت في الحرب أثناء القصف وبين ألحان القذائفِ والصواريخ وعصفِ الرياح الباردة...

رُبما الأُناسُ الأكثرُ فرحاً في ظاهرهم همُ الأحوجُ إليه في دواخلهم
رُبما كان "علي" مليئاً بالحُزنِ والهم ولا بُد من ذلك! ولكن في واقعهِ تحديداً يحتاجُ أن يكون قوياً بأي طريقةٍ كانت حتى لو كان هذا على حساب حزنه...

ا

اليوم هو الواحد من آب
بدأتُ أعتادُ على كل شيء هنا،اليوم عالجتُ ما يقارب المئة شخص
كل شخص منهم كان لديه قصة وعائلة كل قصصهم كانت شديدة الحزن

لكن جذبتني قصةُ تلك العجوز المسكينة أثناء القصف فقدت قدمها ومع قدمها فقدت أولادها الثلاثة فقدت قدمها وأرواحها الثلاثة حتى إني سمعت النساء يتهامسن بينهن ويتكلمن عن ثرائها وجمالها
هي الآن تعيش في إحدى الخيم مع أحفادها اليتامى
المؤسف في القصة أنها ما زالت تظن أنهم سيعودون يوماً ويأخذونها من الخيمة لتعود إلى قصرها الكبير لتعودَ إلى حياتها السابقة.

ها أنا أتممت اسبوعي الاول هنا لم تبقى أكلة عربية إلا وأكلتها كبسة, محاشي ,تلك الأكلات الدسمة أيضاً المليئة باللحوم الحمراء
بدأت أضجر وحدي هكذا لم يبق أحد من المخيم إلا وعالجته عالجت غير المرضة أيضاً حتى المتمارضون تلك الفئة الأبغض على قلبي أيضا عالجتها
عالجتهم من باب الملل وليس التعاطف
عالجتهم جميعا ولم أعالج نفسي
عالجت الجميع لكن لم أجد علاجا للخراب الذي في داخلي حللت مشاكل أصدقائي وأقربائي
نفسي المحطمة المنهكة إما من نجاةٍ يا الله لم يبق من عمري سوى شهران وأكثر من النصف ولم أجد حلاً واحدا لنفسي...

الثامن عشر من آب
جاء رجل واحضر ابنتهُ الصغيرة معه على أمل أن يجد لها علاج يمحو ألمها،كانت مريضةً مريضةً جداً وتُعاني من فشل كلوي كانت صغيرة جداً وكان المرض كبيراً جداً عليها لا تتحمله ولا تتحمل علاجه..تحاول استعادةَ طفولتها ولكن أحياناً الأشياء التي تضيع تضيعُ إلى الأبد،لم أعلم ما يجبُ عليّ قولهُ لأول مرةٍ في حياتي ما الذي يُصيبني؟! ولمَ؟
لـ سنوات في مهنة الطب لم يحصل لي شيء كهذا أبدا حتى أني عُرفت بين زملائي بأني عديم الإحساس لا أفكر كثيرا قبل أن أقول للمريض مرضه لم أقدر يوما مشاعر أحد قط ,أفرغ ما في جُعبتي وارحل...

عندما رأيت نظرته لأبنته كم هو خائف أن يصيبها مكروه...وقد أصابها بالفعل!
نظرته كانت مليئة بالمشاعر التي لا أعرفها فلم يكن لي أب من قبل ولاحتى أبن فلا أعرف مشاعر الأبوة ولا أفهمُ الأجواء العائلية بصورة واضحة
ولم أجربها يوما

كم أنا قاسي إذاً..
كم أنا متوحش..

أستحق كل ما يحصل لي
أو لا أستحقهُ! لا أنا ولا غيري يعلمُ ما أستحقهُ ولكن على كل حال الحياةُ تستمر ويكشفُ الله لنا الأحداث بصورها الحقيقية في المستقبل...لا يحقُ لي التكلم عن المستقبل ولكن رُبما هذه الطفلة ترى المستقبل بدلاً عن هذا العجوز السقيم...

-أيها العم!
مع شديدِ أسفي ولكنني مضطرٌ بأن أُخبركَ بأن ابنتك مصابةٌ بـ فشلٍ كلوي وتحتاجُ إلى غسيلٍ كلوي في أقرب وقت وإلا...

يمتعضُ وجهُ الرجل قليلاً ثُم ينظر إلى ابنتهِ مرة اخرى ولكن بـ عكسِ ما كنتُ أتوقع لم تكن ردةُ فعلهِ عادية... أو أنها كانت عادية! في الوقت الذي لا يجبُ أن تكون عاديةً فيه... ما أعنيه أنهُ نظر إليها وقال لي "إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله" وابتسم وأكمل "شكراً لك أيها الطبيب!" وهمَّ بالخروج وهو يُدمدمُ بصوتٍ خفيض "عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خير..."

وهنا تذكرتُ شيءً مهماً وهو صديقي "عبد الرزاق" إنهُ مسؤولٌ عن مجمعِ غسل الكلى في المدينة المجاورة وقد زُرتهُ قبل مجيئي إلى المخيم

-مهلاً أيها العم!
خرجتُ أبحثُ عن الرجل وابنتهِ ولكن لا أثر لهما
فذهبتُ راكضاً بين الخيام أبحثُ عنهما واقلِّبُ نظري فلا أجدُ شيءً حتى أشرقَ وجهُ "عليّ" أمامي فقال "ما بكَ يا دكتور؟ عسى أن يكون خيراً" فقلتُ لهُ ما أنا فيهِ على عجل فأخذني من يدي وطرقَ باب الخيمةِ التي أقفُ بجانبها تماماً! وقال"يا أبا عائشة!" فخرجَ الرجلُ الذي أبحثُ عنه وهنا تذكرتُ عبارةً كان يقولها أحدٌ ما "ما نبحثُ عنهُ بعيداً،دائماً ما يكونُ بالقربِ منا" ولكن ليس الوقتُ وقت الاستذكارات الآن...

سُرعان ما وصل "عبد الرزاق" إلى الموقع بعد مكالمتي لهُ واخبارهِ بأن الأمر عاجل ونحتاج لغسيل الكلى بسرعة فأتى معهُ بإسعاف وفريقٌ ميدانيّ لغسيل الكلى وأخيراً...الحمدُ لله!
لقد انتهت معاناةُ الطفلة عائشة...مؤقتاً!

لذا سعيتُ مع عبد الرزاق لإنشاء مجمع لغسيل الكلى وتمَّ ذلك بعد أسبوع واحد ليبدأ المجمع والفريقُ المختص بالعمل على انقاذ حيواتٍ من كتب الله لهمُ الحياة..

***

لا أعلم ما اليوم أو الساعة... الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أني أريد الانسحاب ليس من المخيم فقط بل من نفسي ومن الحياة...
تبقى شهران، كيف سأتمكنُ من إنهائهما أريد أن أموت بسرعة... فل تنتهي هذه المأساة !

الموت ليس أفضل الحلول لكن أعلم أني فعلت أشياءً جيدة أستحق بها بعد موتي أن أدخل الجنة أصلي كل صلواتي...كذب لم أصليها كاملة لكن صليت وحاولتُ أن أُصليها في وقتها ، زكيت،كنت أُزكي أموالي باستمرار ولكن الآن لم أعد أفعل لأني تبرعتُ بكل أملاكي، أبعدت الأذى عن الطريق عشرات المرات بررت زوجتي لحدٍ ما لم يصبح لدي أطفال لكن لو كان لدي لكُنت أحسنت إليهم...

لم أصرخ على والدايّ قط، ما زلت أكذب صرخت كثيراً لكن ندمت بعدها واعتذرت لهما كثيراً كرهت النميمة في المجالس بين الناس،كذبت هنا أيضا لم يكن لدي أصدقاء ولا أقارب فلم أحضر مجلساً للنميمة من قبل...والحمدُ لله على ذلك
يا الله ألا أستحق الموت حتى ؟
إما من نجاةٍ ياالله! ذبلت روحي وكهل جسدي ألا أستحق الموت حتى هل أنا سيء لهذه الدرجة
أريد النجاة ببعض اعمالي الصالحة قبل أن أفقدها
أريد أن أنجو بأخلاقي الجيدة قبل أن تهجرني
ياالله لماذا ولدتُ في هذا العالم...
يا لك من أحمق أيها الطبيبُ العجوز! ما الفائدةُ من توبيخِ نفسك الآن؟
قُم وافعل شيءً لا تندمُ عليه...

***

بسبب من يحدث هذا يا أمي؟
بسبب تلك الأرض التي من أجلها أجبرونا أن نقف في ساحة المدرسة وننشد لها النشيد البائس الكاذب!؟

بسبب تلك الأرض التي كنت أرفع علَمها في كل صباح في الشتاء البارد والصيف الحار بسبب هذه الأرض تركت مدرستي وصديقاتي بسبب هذه الأرض أعيش هذه المأساة
أمي أمي امااااااه !!!

أرجوكِ قولِ لي إذا كان ما نعيشه بسبب هذه الأرض هيا بنا نحرقها نتخلص منها هي ومأساتي...

سمعتُ هذا الكلام من خلف قماش أحدى الخيم كم هو مؤسف أن تعيش طفلة صغيرة هذه المأساة ياالله مأساتها أكبر من مأساتي على الأقل كنت أملك طفولة هادئة ومعيشةً طيبةً إلى حدٍ ما

يا الله! كم أنت عظيم في كل هذا الألم الذي أعيشه أسمع هذه الجمل المحزنة لأنسى ألمي وتخمد نار قلبي...
آه عليك يا طفلتي الصغيرة ليتني أستطيع مساعدتك بشكل من الأشكال،كذبة الوطن دمرت آلاف الناس في هذه البلدان،يتخطى دعاة الوطنية كل آلامهم بضحكةٍ باهتة وكأن ألألم الذي يصيبُ هؤلاء الناس نكتةٌ سخيفةٌ عابثة... ومن ثَمَ يدعونهم لأنفاذ الوطن!
هل أنت غبيٌ يا هذا!!!
أنسان فقد كل شيء من حياته! فقد بيته، ماله، أولاده، أمهُ وأخوته سوف يتجاهلهم جميعا ويركض وراء وطنك!!!،رغم أني متأكد من أنه لو طلب منه أن يضحي بنفسه من أجل الوطن لرفضَ ووقف إلى جانب الباب مُعترضاً ومشيراً إلى أن الوطنَ ليسَ سوى أُكذوبةٍ يرقى بها الطامعون وروايةٌ يكتبُ صفحاتها القتلةُ الفاسدون أما من يدعون للأصلاح فلن تراهم حتى في الهامش!

***

ليلة سيئة كالعادة
لا أستطيع النوم ولا أستطيع التفكير حتى لا أستطيع استذكار شيء مما رأيته نوبات الهلع تزداد أشعر بارتفاع درجة حرارتي أشعر أن العلاج يزيد من سقمي رغم إني طبيب لكنني أفشل دوماً في التعامل مع مرضي عندما كنت أمرض كانت تهتم بي زوجتي أو أخي الطبيب الآخر في العائلة لم أزر المستشفى كمريض في مرة من قبل دائما كُنت وسيلة شفاء المرضى لم أكن يوماً المريض ولم أشرح لطبيب قط عن أعراض مرضي
حتى عند اكتشافي بوجود السرطان داخل جسدي طلبت منهم أن يعلموا أحد أفراد عائلتي ليخبرني هو بالتالي
لم أحب الطب يوماً ولا المستشفى ولا المرضى
لم أكن أحب ما أفعل حتى المال الذي كنت أجنيه من مهنة الطب لم يعجبني يوماً دائماً ما شعرت بِاسْتِحْقَار تجاه ذاتي كيف لي إن آخذا مالاً مقابل أمراض الناس
أي أن رزقي يعتمد على عذابهم
كم أنا سيئ
لست عديم الإنسانية في الحقيقة فهذه هي الإنسانية، كثيراً ما يظنون أن الإنسانية هي أن تكون جيداً دائماً، لا تقتل، لا تسرق ولا تضرب
أما أنا فـ أرى من يفعل هذه الأفعال هو من وصل إلى قمة الإنسانية

الإنسان ناقص بقدر كماله ومذنب بقدرِ براءته وكاذب بقدر صدقه هذا هو الإنسان الله خلقنا هكذا شئتم أم أبيتم سنكون كذلك لكني أرى في الإنسان موهبة القولبة والتحوير فهو لا يرضى بحقيقته يحاول تغييرها وإخفائها وتجنبها

***

بداية شهر جديد
كيف لأنسان أن يفقد حلمه وشغفه وحياته فقط لأنه ولد في أرضٍ ملعونة كهذه!؟؟
تفقد كل شيء حتى الطمأنينة...

عزائي على ما يجري لهم،عزائي لكل هؤلاء الأطفال الذين لا يعرفون معنى الطفولة،عزائي لهؤلاء الشبان على ما فقدوه ويفقدونه وما سيفقدوهُ لاحقاً...عزائي للأمهات التي ستفقد تلك الشبان وعزائي لأولئك الأطفال لأنهم سيصبحون شباناً مجبرين على خوض معركة سوف يخسرون فيها حتماً،كما أظن..على الأقل لا يفوز أحدٌ في هذهِ المعارك فقط هنالك طرف أحمق يشعرُ بالفوز دائماً حتى لو فقد نصفَ شعبهِ وأرضه وقوته لكن ليرضي غرورهُ يسمي نفسه بالفائز والطرف الثاني بالخاسر...والحقيقةُ أن الجميع يخسرون في الحروب التي ليس لها هدفٌ سوى القتال...

***

يخيفني غباءُ هذه الشعوب حيث هي خاضعة ومستعدة لتنفيذ أوامرِ سيدها دائماً حتى لو لم يختاروا هذا السيد وهم يعلمون أن ما يفعله سيدهم خطأ بطريقةٍ ما...لكنهم لا يعترضون وكأنهم دواب تُضرب بالسوط وتركض لمصلحة سيدها...

هنيئاً لكم ما تعيشونه أيها الشعوبُ العظيمة وأيتها الأرض الحرة هنيئا لكِ ما تعيشينه بسبب شعبك الذي يرفضُ الحرية ويحتفي بالعبودية...

هنيئا لي بمأساتي التي لا ناقة لي فيها ولا جمل...

طلبتْ مني المنظمةُ التي أرسلتني أن أطلب من الأطفال أن يتكلموا عن ما يتطلعون له في المستقبل كيف ستتغير حياتهم للأفضل أو للأسوأ أو أي شيء عن احلامهم وخططهم المستقبلية

بدأت حالتي الصحية تصبح سيئةً أحاول أن أستمر بمهمتي ليس هنالك الكثير لأكتبهُ أنا لذا سأذهب للنوم وابدأ صباح الغد بالحديث مع الأطفال لكتابة شيء ما...

رسائل الأطفال

علي محيّ الدين

فِي اَلْمُسْتَقْبَلِ سَأَبْنِي عَائِلَةً جَمِيلَةً سَيَكُونُ لَدَيَّ بَيْتٌ دَافِئٌ سَأَكُونُ أَبًا حَنُونًا وَزَوْجًا صَالِحًا سَأَحْصُلُ عَلَى زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ وَسَوْفَ أحظى بِأَوْلَادٍ بَارّينَ، أُرَبّيهِمْ كَمَا لَوْ تَمَنَّيْتُ أَنْ رَبَّيَانِي وَالِدِي بِظُرُوفٍ أُفَضّلُ سَأَشْتَرِي لَهُمْ اَلشّكُولَاتَةُ اَلَّتِي لَمْ أَتَذَوَّقْهَا وَآخُذَهُمْ إلى مدِينَةِ اَلْأَلْعَابِ اَلَّتِي لَمْ أَزرْهَا لَنْ أَسْمَحَ لَهُمْ أَنْ يُشَارِكُوا بِأَيّ حَرْبٍ حَتَّى لَوْ كَانَتْ وَاجِبًا وَطَنِيًّا لِأَنَّ اَلْوَاجِبَ اَلْإِنْسَانِيَّ أَهَمَّ وَاجِبِنَا اَلْإِنْسَانِيّ اَلْأَوَّلِ هُوَ أَنْ نُحَافِظَ عَلَى هَذَا اَلْكَوْكَبِ وَاجِبَنَا أَنْ نَسْمَحَ لِمَنْ حَوْلنَا أَنْ يُكْمِلُوا حَيَاتُهُمْ مِنْ دُونِ أَنْ يَرَوْا اَلدِّمَاءُ أَوْ أَنْ يَسْمَعُوا صَوْتُ اَلرَّصَاصِ أَوْ أَنْ يَضْرِبُوا بِالسَّوْطِ أَتَمَنَّى أَنْ يَسُودَ اَلْعَدْلُ فِي بَيْتِي عَلَى اَلْأَقَلّ.

ولاء ميلود

عِنْدَمَا أَكْبَرَ سَأَعُودُ إِلَى حَدِيقَتِنَا اَلْكَبِيرَةِ حَيْثُ هُنَاكَ اَلتِّينُ وَالْعِنَبُ وَكُلُّ أَنْوَاعِ اَلزُّهُورِ سَأَعُودُ إِلَى غُرْفَتَيْ اَلَّتِي عِنْدَمَا غَادَرْتُهَا نَسِيتُ اَلْأَمَانُ سَأَعُودُ إِلَى شَاشَةِ اَلتِّلْفَازِ لِأَرَى أَفْلَامِي اَلْمُفَضَّلَةَ سَأَعُودُ هُنَاكَ وَسَأَجِدُ حَيَاتِي كَمَا كَانَتْ قَبْلَ اَلْحَرْبِ سَتَعُودُ أُخْتِي اَلَّتِي فَقَدْنَا رُوحُهَا بَعْدَ ذَلِكَ اَلْحَادِثِ اَلْمُؤْلِمِ اَلَّذِي عَلَى أَثَرِهِ اِضْطَرَّتْ أَنْ تَجْرِيَ ثَلَاثَ عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَعِيدَ رُكبَتيّها، أَشْعُرُ بِالْأَسَى اَلشَّدِيدِ عَلَى مَا حَدَثَ وَلَا زَالَ يَحْدُثُ فِي اَلْعَالَمِ غَادَرَ اَلْجَمِيعَ مَنَازِلَهُمْ وَسَكَنُوا اَلْخِيَمَ خَسِرُوا أَحْلَامُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ مِنْ أَجْلِ حَرْبٍ أُقِيمَتْ لِسَبَبٍ لَا يَعْرِفُونَهُ .

سارة عبد المجيد

سَوْفَ اِلْتَحَقَ بِالْمَدْرَسَةِ لَأَكْمَلَ تَعْلِيمِيّ وَأَصْبَحَ مُهَنْدِسَةً مِثْلِ زَهَا حَدِيدٌ سَأَبْنِي هَذَا اَلْعَالَمِ مِنْ جَدِيدٍ بِصُورَةٍ أَجْمَلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ سَابِقًا سَأُعِيدُ بِنَاءَ اَلْبُيُوتِ وَالْعِمَارَاتِ وَالْأَبْرَاجِ سَأُعِيدُ بِنَاءَ اَلْحَيَاةِ لَكِنْ بِطَرِيقَتِي كَمَا تَخَيَّلْتُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ قَبْلَ اَلنَّوْمِ تَخَيَّلْتُهُ لِيَكُونَ مُنَاسِبًا لِجَعْلِ جَمِيعِ اَلْأَطْفَالِ سُعَدَاءُ تَخَيَّلْتُهُ عَالِمًا مَلِيئًا بِالْحُبِّ وَالسَّلَامِ لَا يُوجَدُ حُرُوبًا لَا أَحَدَ يَحْتَلُّ أَحَدًا كُلَّ فَرْدٍ يُمَارِسُ حَيَاتَهُ اَلْمُفْتَرَضَةَ دُونَ هَوَاجِسِ اَلْخَوْفِ وَالذُّعْرِ اَلْمُرَافِقَةِ لَهُ فِي اَلْمُخَيَّمِ ، يَعِيشَ بِهُدُوءٍ بَعِيدًا عَنْ صَخَبِ اَلْمُدَافِعِ وَالْبُنْدُقِيَّاتِ عَالَمِيٌّ سَيَكُونُ مُخْتَلِفًا وَمُمَيَّزًا سَتُكَوَّنُ فِي عَالَمِيٍّ حُرًّا مُحِبًّا مُسَالِمًا وَسَتَكُونُ مُطْمَئِنًّا

إياد محمد

سَوْفَ أَبْنِي بَيْتًا كَبِيرًا يَجْمَعُ شَمْلَ عَائِلَتِي وَقْتُهَا سَيَكُونُ أَبِي قَدْ عَادَ مِنْ اَلْحَرْبِ وَأُمِّي أَنْجَبَتْ أُخْتِي اَلصَّغِيرَ سَتُسَمِّيهَا كَمَا تُرِيدُ هِيَ سَأُعَلِّمُهَا كَيْفَ تَلْعَبُ مَعِي حَتَّى أَنِّي سَأُعَلِّمُهَا كَيْفِيَّةُ سَرْدِ اَلنُّكَتِ اَلسَّخِيفَةِ سَأَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِي لِيُكَوِّنُوا بِخَيْرٍ آهٍ وَأَيْضًا أُرِيد أَنْ أَصْبَحَ طَيَّارًا لِأَنِّي أُحِبُّ أَنْ أَرَى اَلْعَالَمُ كُلُّهُ لَكِنِّي أَخَافَ أَنَّ لَا أَسْتَطِيعُ اَلنَّجَاحُ بِسَبَبِ خَوْفِي مِنْ اَلْمُرْتَفَعَاتِ أَذْكُرُ أَنِّي شَارَكَتْ بِإِحْدَى اَلْفَعَّالِيَّاتِ اَلْمَدْرَسِيَّةِ اَلَّتِي تَتَضَمَّنُ تَسَلُّقَ مَكَانٍ عَالِي وَقْتُهَا سَقَطَتْ مِنْ خَوْفِي وَكُسِرَتْ قَدَمِي وَقْتُهَا حَزِنَتْ أُمِّي كَثِيرًا أَبِي لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا لِكَوْنِهِ جُنْدِيًّا يَقُومُ بِوَاجِبِهِ وَعِنْدَمَا قُلْتُ لَهُ لَمْ يَهْتَمْ أَصْلاً لَكِنِّي لَا أَشُكُّ أَنَّهُ يُحِبُّنِي هُوَ مُتْعَبٌ فَقَطْ

عبد السلام محسن

سَأَصْنَعُ عَالَمِي اَلْخَاصّ فِي عَالَمِيٍّ لَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ فُقَرَاء أَوْ مُحْتَاجُونَ لَا يُوجَدُ فِي عَالَمِيٍّ مَشَاكِل وَلَا يُوجَدُ أَحْزَانٌ أَتَوَقَّعُ أَنَّ عَالَمِي سَيَكُونُ مِنْ اَلْحَلْوَى أَوْ البيرغر لَا أَعْلَمُ سَأُفَكِّرُ بِهَذَا اَلْمَوْضُوعِ لَاحِقًا لَكِنْ لَا أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ فِي عَالَمِيٍّ حَزِينًا حَتَّى ذَلِكَ اَلْوَلَدِ اَلَّذِي يَنْعَتُنِي دَائِمًا بِالسَّمِينِ وَأَحْيَانًا اَلدُّبَّ وَالْأَرْنَبَ لِأَنِّي لَا أُحِبُّ اَلْمَشَاكِلُ لَنْ يُوجَدَ أَمْرَاضٌ وَلَا مُسْتَشْفَيَاتٍ وَلَا أَطِبَّاءُ لِأَنِّي أَكْرَهُهُمْ كَثِيرًا لَنْ يُوجَدَ مُجْرِمُونَ لِيُخَرِّبُوا عَالَمِي لَنْ يُحَاوِلَ أَحَدُ اَلسَّرِقَةَ أَوْ اَلْقَتْلَ، سَيَكُونُ اَلْجَمِيعُ مُسَالِمِينَ مُحِبِّينَ لَطِيفِينَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِوَقْتِهِمْ

مريم عمران

سَأُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ حِلْمِي لَنْ أَتَخَلَّى عَنْهُ كَمَا فَعَلَ اَلْكَثِيرَ سَأَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ أُحَقِّقَهُ سَأَبْنِي مَلَايِين اَلْعِمَارَاتِ سَأُمْتَلَكُ اَلْكَثِيرِ مِنْ اَلشَّرِكَاتِ سَأُصْبِحُ ثَرِيَّةً سَأُسَاعِدُ وَالِدِي لِكَيْ نَخْرُجَ مِنْ دَائِرَةِ اَلْفِقْرَةِ اَلَّتِي تَدُورُ حَوْلَنَا سَأَجْعَلُهُمْ سَعِيدَيْنِ سَأَتَخَلَّصُ مِنْ نَظْرَةِ اَلْفَتَيَاتِ لِي تِلْكَ اَلنَّظْرَةِ اَلْمُقْرِفَةِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَتَيْتُ بِهَا وَكُنْتَ أَرْتَدِي لِبَاسًا قَدِيمًا أَوْ مُهْتَرِئًا تِلْكَ اَلنَّظْرَةِ اَلَّتِي أَكْرَهَهَا كُرْهًا كَبِيرًا سَأَتَخَلَّصُ مِنْهَا

محمد عبد العزيز

فِي اَلْمُسْتَقْبَلِ سَوْفَ أُصْبِح طَبِيبًا مَاهِرًا وَسَوْفَ أُنْقِذُ هَذَا اَلْعَالَمِ مِنْ اَلدَّمَارِ لَا أَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْبَحَ طَبِيبُ أَمْ بَطَلاً خَارِقًا لَكِنَّ هُمَا مُتَشَابِهَانِ اَلْبَطَلَانِ اَلْخَارِقُ يُنْقِذُ اَلْآخَرِينَ مِنْ اَلْأَشْرَارِ بِقُوَاهُ اَلْخَارِقَةِ وَالطَّبِيبُ يُنْقِذُهُمْ مِنْ اَلْمَوْتِ بِالْعِلْمِ اَلَّذِي يَمْتَلِكُهُ لَكِنَّ اَلْفَرْقَ أَنَّ سِلَاحَ اَلطَّبِيبِ وَاضِحٍ وَمَفْهُومٍ وَلَا يُعْتَبَرُ خَيَالِيًّا عَلَى عَكْسِ اَلْبَطَلِ اَلْخَارِقِ قُوَاهُ كِذْبَةً اِخْتَرَعَهَا مُؤَلِّفُ قِصَصِ اَلْكَارْتُون لِيَسْخَرَ مِنْ اَلْأَطْفَالِ سَأُصْبِحُ طَبِيبًا نَاجِحًا مُخْلِصًا لِمِهْنَتِهِ وَمُحِبًّ لَهَا سَأَعْتَنِي بِالْمَرْضَى جَيِّدًا وَسَوْفَ أَشْفِيهِمْ بِالْعِلْمِ اَلَّذِي مَنَحَنِي إِيَّاهُ اَللَّهُ . . . لَكِنْ أَخْشَى أَنْ يَبْقَى حُلْمًا لَنْ يَتَحَقَّقَ أَبَدًا دَمَارَ أَرْضِنَا اَلْآنِ أَشْبَهَ بِرِسَالَةِ لِي وَلِكُلِّ اَلْأَطْفَالِ يَقُولُ بِهَا إِنَّ أَحْلَامَكُمْ لَنْ تَتَحَقَّقَ أَبَدًا أَيُّهَا اَلْحَمْقَى سَأُدَمِّرُ حَاضِرَكُمْ اَلَّذِي سَيَتَكَفَّلُ بِتَدْمِيرِ مُسْتَقْبَلِكُمْ وَأَحْلَامِكُمْ

آية محمد

فِي اَلْمُسْتَقْبَلِ لَنْ أُصْبِحَ كَاذِبَةً كَأَبِي فَهُوَ وَعَدَنِي أَنَّ اَلْحَرْبَ سَتَتَوَقَّفُ لِأَكْمَلِ أَحْلَامِي اَلَّتِي لَمْ أَبْدَأْ بِهَا وَلَنْ أَعُودَ لِأَسْمَعْ صَوْتَ اَلرَّصَاصِ مَرَّةً أُخْرَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ قَبْل أَنَّ أَنَامْ أَدْعُو اَللَّهُ أَنْ أَسْتَيْقِظَ فِي اَلصَّبَاحِ بَاكِيَةً مِنْ هَذَا اَلْحُلْمِ وَتَأْتِي أُمِّي وَتُهَدِّئُنِي وَيَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ لَكِنْ فِي كُلِّ صَبَاحٍ أَسْتَيْقِظ لِتُخْبِرْنِي أُمِّي أَنَّ مَا يَحْصُلُ حَقِيقِيَّةً يَجِبُ عَلَى تَصْدِيقِهَا وَعَيْشِهَا لِمَاذَا اَلْحَرْبُ حَقِيقَةً وَالْوَطَنِ كِذْبَةً لِمَاذَا اَلنَّجَاحُ حَقِيقَةً وَالْأَحْلَامِ كِذْبَةً لِمَاذَا يَسْلُبُونَ حَيَاتُنَا وَيُذَكَّرُونَنَا أَنَّ اَلْقَانُونَ فَوْقَ اَلْجَمِيعِ إِذَا مَا هُوَ حُلْمُكَ مَاذَا سَتُصَبِّحِينَ عِنْدَمَا تَكْبُرِينَ؟ . . . حُلْمِي أَنْ أَعِيشَ حَيَاةٌ بِلَا حَرْبٍ...

يُسرى عامل

فِي اَلْمُسْتَقْبَلِ سَأَبْدَأُ حَيَاتِي اَلْجَدِيدَةَ خَارِجَ هَذِهِ اَلْأَرْضِ اَلْمُزْعِجَةِ اَلَّتِي يُسَمُّونَهَا وَطَنِي سَأَعِيشُ دَاخِلَ كُوخٍ جَمِيلٍ عَلَى اَلْجَبَلِ سَأَتَعَلَّمُ اَلْقِرَاءَةَ وَسَوْفَ أَجْمَعُ اَلْعَدِيدُ مِنْ اَلْكُتُبِ سَأُتْقِنُ اَلطَّهْيَ سَأُطْبَخُ أَكْلَاتِي اَلْمُفَضَّلَةَ وَأَسْتَمْتِعُ بِهَا لِأَنْسَى كُلَّ لَيَالِي اَلْجُوعِ سَأُشْعِلُ نَارًا كَافِيَةً لِتُنْسِينِي هَذَا اَلْبَرْدِ اَلْقَارِس أَتَمَنَّى أَنْ لَا أَكْبَر وَإِذَا حَصَلَ وَكَبِرتُ لَا أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ مَا يَعِيشُهُ اَلْكِبَارُ لَا أَعْلَمُ مَا اَلَّذِي يَعِيشُونَهُ اَلْآنَ لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ مُؤْلِمٌ عِنْدَمَا أَذْهَبُ إِلَى كُوخِي اَلْجَمِيلِ اَلدَّافِئِ اَلْمَلِيءِ بِالطَّعَامِ سَوْفَ أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ لِيَعِيشُوا لَيْلَةً دَافِئَةً مَرَّةً وَاحِدَةً قَبْلَ اَلْمَوْتِ لِأَنِّي أَظُنُّ أَنَّهُمْ لَمْ يَحْصُلُوا عَلَى اَلدِّفْءِ بِحَيَاتِهِمْ،
آوِه... نَسِيتُ أَيْضًا سَأَتَعَلَّمُ اَلسِّبَاحَةَ لِأَنِّي رَأَيْتُ اَلْكِبَارُ يَغْرَقُونَ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَغْرَقَ مَثَّلَهُمْ فَأَنَا أُحِبُّ هَذِهِ اَلْحَيَاةِ رَغْمَ اَلدَّمَارِ اَلَّذِي رَأَيْتُهُ بِسَبَبِهَا .

رُسُل محمد

عِنْدَمَا أَكْبَرَ سَأَعُودُ إِلَى بَيْتِي اَلدَّافِئِ وَسَأَتْرُكُ تِلْكَ اَلْخَيْمَةِ اَلْبَارِدَةِ سَأَعُودُ وَاجْتَمَعَ مَعَ عَائِلَتِي اَلَّتِي فَارَقَتْنِي اَلْحَرْبُ عَنْهُمْ سَأَعُودُ لِأَلْعَبَ مَعَ أُخْتِي اَلصَّغِيرَةِ فِي حَدِيقَتِنَا اَلْخَلْفِيَّةِ سَتُعَدُّ لَنَا أُمِّيُّ اَلْعَشَاءِ اَلْمُفَضَّلِ مِنْ جَدِيدٍ سَنَبْتَهِجُ عِنْدَمَا يَعُودُ أَبِي مِنْ اَلْعَمَلِ وَمَعَهُ أَكْيَاسُ اَلْخُضَارِ اَلَّتِي قَامَ بِشِرَائِهَا سَنَعُودُ وَسَنَعُودُ مَعَنَا اَلِابْتِسَامَةُ اَلَّتِي فَارَقَتْهَا مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ سَيَنْتَهِي اَلْبَرْدُ اَلْقَارِسُ سَتَجِفُّ خَيْمَتُنَا اَلْمُبَلَّلَةُ وَسَتَجِفُّ مَعَهَا أَحْزَانَنَا سَأَعُودُ لِكُتُبِي اَلْجَمِيلَةِ وَأَلْوَانِي اَلْمُبْهِجَةِ سَأَعُودُ لِتَأَمُّلِ اَلْغُيُومِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ سَنَعُودُ أَنَا وَأُخْتِي لِنُكْمِلَ طُفُولَتَنَا اَلْمُؤَجَّلَةَ سَيَعُودُ أَبِي لِعَمَلِهِ اَلَّذِي لَطَالَمَا أُحِبُّهُ سَتَعُودُ مَدِينَتِي اَلَّتِي أَعْشَقُهَا كَمَا كَانَتْ سَابِقًا سَتَعُودُ أَرْضِي وَأَهْلِي وَجِيرَانِي سَيُزْهِرُ عَالَمِيٌّ اَلْمُظْلِمِ مِنْ جَدِيدٍ

***

فجأة وأنا أكتب ما صورته كاميرتي من حديث الأطفال
وإذا بي اسمع صوتا يستأذنُ الدخول إلى الخيمة
وقفت على قدمي مستغرباً
من يأتي في هذا الوقت، لم يبق أحد في المخيم إلا وأخذ الرعايةَ الصحية الكافية قبل إغلاق المستوصف الطبي، تفضل بالدخول
السلام عليكم أيها الطبيب، أنا السيدة علياء التي طلبت منك حبوبا لخفض مستوى السكر في الدم في الصباح تذكرتني؟
أهلا أيتها الخالة، خير في هذه الساعة المتأخرة من الليل هل تُريدين أن أقيسَ لكِ ضغطكِ؟
لا يا بُني، على الرغم من أني أشعر أن شجار أحفادي قبل النوم سبب لي ارتفاع بسيطاً في الضغط لكنني أشعر بالضجر قليلا ولم أجد خيمة يتسرب منها الضوء غير خيمتك
هل لي أن اجلس يا بني تعبت قدماي
طبعا يا خالة تفضلي
كمْ تبلغ من العمر أنت، تبدو متوسط العمر، في الأربعين أو الخمسين لكنك تتكلم وكأنك تكبرني بكثير، على الرغم من أني لا اتجاوزك إلا بثلاثين عاما
اعتذر يا خالة، على ما يبدو اننا متقاربان بالأعمار
طرحت الكثير من الأسئلة كعادتها حتى زارها النعاس وأومأت لي أن أصحبها الى خيمتها هي واحفادها ليس قبل ان توعدني بصحنٍ كبيرٍ من الكنافة، حتى بعد محاولات اقناعي لها أنِ لست من محبي الحلويات.

***

في الصباح ,استيقظت متأخراً على صوت احتفالات الخيمة المجاورة لي
خيمة علي واولاده!
ما به يا ترى,
علي يحمل ابنهُ الصغير ويقفز ويغني بصوته المبحوح
يال فرحته ,يبدو انه سوف يغادر المخيم
كان لغازي ردةُ فعلٍ مشابهة عندما غادر المخيم
اقترب مني وقبلني

أذن يا علي ستكون آخر مرةٍ أراكَ أنتَ وأبنائك
توقعت ان يكون فيه شيء من الحزن عند نطقي لتلك الجملة ,فترددتُ بقولها
لكنه نظر بعيني وزاد ابتهاجه ابتهاجاً
فسررت لسروره ,علي كان أشبه بـ أخ لنا جميعا كان رجل ذو همةٍ للمساعدة وفعل الخير استحق أن يخرج من كل هذا الالم الذي عاشه خصوصا بعد موت زوجته شجن
الآن سيغادر إلى ألمانيا ليكون هناك كلاجِئ
ما أعجب هذه الدنيا يفرحُ الإنسان لخروجه من أرضهِ ليكون لاجئ في أرض أخرى حيث يعيش معززا مكرما بدل ذُله وإهانتهِ في أرضه
انتهت قصة علي اليوم ,متى ستنتهي قصتي أنا أو كيف؟

امتزج صوت رنين هاتفي مع حلمي الأقرب إلى الكابوس
رقم الطبيب عمر
ماذا ذكرهُ فيَّ الآن ألست مريضاً كباقي مرضاه يأخذ ماله المُقدر للكشف عن ما يصيبني من ألم
رفعت الهاتف إلى أذني وكأنني لم أفكر بكل هذا
مساء الخير أيها الطبيب المُنقذ
مساء النور
مبارك لك يازميلي في المهنة!
-على ماذا؟
ألم ترسل الطبيبة رغد تشخيصها الأخير لحالتك
-وماذا؟
لقد شُفيت بالكامل من سقمِك

-اغلقت الهاتف،بدات اشعر برجفة في يدي اليسُرى، نعم مرت التسعون يوماً ولازلت حياً ارزق لكن لم انتبه لهذا حتى، علي والاطفال انسياني كل هذا
سأستمر في هذه الحياة
لوهلة بدأت عيناي تغرقُ في الدموعِ
لم أستطع أن أعود إلى حالتي الطبيعية لكني وقفت على قدماي وحاولت استجماع طاقتي وأثناء هذا الاستجماع

سمعت أصوات كثيرةً حول خيمتي
واذ بي اسمع صوت هتافات بأصوات حادة خالد خالد...
ماذا هناك ما الذي يفعله هؤلاء
قد عرف كل من في المخيم بشفائي كان هناك علي وأبنائه الخالة علياء و صينية الكنافة

ماذا لي ان اقول
هل تعتبر هذه نهاية سعيدة تشبه نهايات الأفلام والروايات أظن أن الله كتب لي نهاية تشبه هذه النهايات كثيراً
أحمده وأشكره على كل شيء والآن مُنحت فرصةً اخرى
لفعل ما لم أستطع فعله قبل المرض وأثناء المرض فرزقتُ بمرحلة جديدة وهي ما بعد المرض.

النهاية

هذه القصة نسج من الخيال والواقع خيال صغير وواقع كبير من قلب فتاة صغيرة رأت حرباً صغيرةً مثلها ورأت بعض سكان المخيمات لا أقصد بسكان المخيمات تلك الفئات المترفة من الناس التي تحب أن تعيش في البريةِ لتراقب الحيوانات والطبيعة بل أقصد تلك الشعوب البائسة التي أجبرت على ترك منازلها لتعيش تحت ظلال الخيام والطبيب خالد هو شخصية خيالية تمثل ملايين الأطباء والمتطوعين الذين قدموا من كل دولة وأرض وعلي وأبناءه وزوجته الشهيدة هم شخصيات قطعاً حقيقية موجودة في كل دولة وفي كل حي وفي كل بيت وما كتبه الطبيب هو أقرب بالواقع وأشبه بالخيال.